

فتح القدير

ثم ذكر سبحانه أنهم لم يشكروا النعمة بل طلبوا التعب والكد 19 - { فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا } وكان هذا القول منهم بطرا وطفيانا لما سئموا النعمة ولم يصبروا على العافية فتمنوا طول الأسفار والتبعاد بين الديار وسألوا الله تعالى أن يجعل بينهم وبين الشام مكان تلك القرى المتواصلة الكثيرة الماء والشجر والأمن والمفاوز والقفار والبراري المتبعدة الأقطار فأجا بهم الله إلى ذلك وخرب تلك القرى المتواصلة وذهب بما فيها من الخير والماء والشجر فكانت دعوتهم هذه كدعوةبني إسرائيل حيث قالوا : { ادع لنا ربنا } يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها } الآية مكان الماء والسلوى وكقول النضر بن الحارث { اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء } الآية قرأ الجمهور { ربنا } بالنسب على أنه منادي مضاف وقرأوا أيضا { باعد } وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيمص وهشام عن ابن عامر { بعد } بتشدد العين وقرأ أبو صالح ومحمد بن الحنفية وأبو العالية ونصر بن عاصم ويعقوب { ربنا } بالرفع { باعد } بفتح العين على أنه فعل ماض على الابداء والخبر والمعنى : لقد باعد ربنا بين أسفارنا ورونيت هذه القراءة عن ابن عباس واختارها أبو حاتم قال لأنهم ما طلبوا التبعيد إنما طلبوا أقرب من ذلك القرب إل كان بينهم وبين الشام بالقرى المتواصلة بطرا وأشرا وكفرا للنعمه وقرأ يحيى بن يعمر وعيسى بن عمر ربنا بالرفع بعد بفتح العين مشددة فيكون معنى هذه القراءة الشكوى بأن ربهم بعد بين أسفارهم مع كونها قريبة متصلة بالقرى والماء فيكون هذا من جملة بطرهم وقرأ أخوه الحسن البصري القراءة ابن السمييع السابقة مع رفع بين على أنه الفاعل كما قيل في قوله : { لقد تقطع بينكم } وروى الفراء والزجاج قراءة مثل هذه القراءة لكن مع نصب بين على أنه طرف والتقدير : بعد سيرنا بين أسفارنا قال النحاس : وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال إحداها أجود من الأخرى كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها ولكن أخبر عنهم أنهم دعوا ربهم أن يبعد بين أسفارهم فلما فعل ذلك بهم شكوا وتضرروا ولهذا قال سبحانه : { وظلموا أنفسهم } حيث كفروا به وبطروا نعمته و تعرضوا لنقمته { فجعلناهم أحاديث } يتحدث الناس بأخبارهم والمعنى : جعلناهم ذوي أحاديث يتحدث بها من بعدهم تعجبوا من فعلهم واعتبروا بحالهم وعاقبتهم { ومزقناهم كل ممزق } أي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق وهذه الجملة مبينة لجعلهم أحاديث وذلك أن الله سبحانه لما أغدر بهم وأذهب جنتهم تفرقوا في البلاد فصارت العرب تضرب بهم الأمثال فتقول : تفرقوا أيدي سبا قال الشعبي : فلحقت الأنصار بيترب وغسان بالشام والأزرد

بعمان وخزاعة بتهامة { إن في ذلك لآيات } أي فيما ذكر من قصتهم وما فعل إِنَّا بهم لآيات
بيانات ودلالات واضحات { لكل صبار شكور } أي لكل من هو كثير المصبر والشمر وخص الصبار
الشكور لأنهما المنتفعان بالموعظ والآيات